

الوعي السياسي والاجتماعي في صحافة عمر راسم

Title in English (Political and social awareness in Omar Rasim's journalism)

توفيق مزاری عبد الصمد

جامعة المدية (الجزائر)، mazari.toufik@univ-medea.dz

تاريخ الاستلام: 2024/07/31 تاريخ القبول: 2024/12/07 تاريخ النشر: 2025/01/31

ملخص:

البحث عبارة عن دراسة للنشاط الصحفي وتراث عمر راسم، انطلاقاً أولاً من محاولة رصد البيئة التي نشأ فيها والتي أثرت في تكوينه ومساره الفكري، باعتبارها فترة بداية حراك وطني وتبلور التيارات الوطنية بعد فشل المقاومات الشعبية في طرد الاحتلال الفرنسي.

ومن مقالاته سواء في الصحافة العربية مثل الجرائد التونسية - المشير، والمرشد، والتقدم، وجريدة الحاضرة لسان حال طلبة الزيتونة التي حاولت ربط تونس بحركة الجامعة الإسلامية، مجلة العالم الإسلامي، وغيرها. إضافة، إضافة إلى الجرائد الوطنية منها جريدة الحق الوهراني، كذلك من خلال الجرائد الخاصة به التي أسسها رغم قلة الإمكانات ومنع الحريات مثل جريدة الجزائر، وجريدة ذو الفقار.

وقد أظهر استقراء ما كتبه ونشره في الصحافة، دوره وإسهامه الجلي في بناء الوعي السياسي والاجتماعي لدى الشعب الجزائري ونهضة الجزائر في مطلع القرن العشرين.

كلمات مفتاحية: راسم. الجزائر، الصحافة، الإصلاح، الوعي الاجتماعي، الوعي السياسي، النهضة.

Abstract:

The research is a study of the journalistic activity and heritage of Omar Rassem, starting first from an attempt to monitor the environment in which he grew up and which influenced his formation and intellectual path, considering it a period of the beginning of a national movement and the crystallization of national currents after the failure of popular resistance to expel the French occupation.

From his articles, whether in the Arab press such as the Tunisian newspapers - Al-Mushhir, Al-Murshid, and Al-Taquadum, and Al-Hadira newspaper, the mouthpiece of the Zitouna students, which tried to link Tunisia to the Islamic University movement, the magazine of the Islamic world, and others. In addition, in addition to the national newspapers, including Al-Haq Al-Wahrani newspaper, as well as through his own newspapers that he founded despite the lack of capabilities and the prevention of freedoms such as Al-Jazair newspaper and Dhu Al-Fiqr newspaper.

The induction of what he wrote and published in the press showed his role and clear contribution to building political and social awareness among the Algerian people and the renaissance of Algeria at the beginning of the twentieth century.

Keywords: Rassem. Algeria, journalism, reform, social awareness, political awareness, renaissance.

1. مقدمة:

عندما زار الرحالة الألماني "فيلهلم شيمبر" ، الجزائر في شهر ديسمبر 1831، ذكرها بقوله " لقد بحثت قصدا عن عربي واحد في الجزائر يجهل القراءة والكتابة غير أنني لم أعثر عليه، في حين أنني وجدت ذلك في بلدان جنوب أوربا، فقلما يصادف المرء هناك من يستطيع القراءة؟ من أفراد الشعب".

لكن الاستعمار الفرنسي بعد احتلاله للجزائر عمد إلى تحطيم البنية الفكرية والدينية واللغوية للشعب الجزائري بمختلف الوسائل، عن طريق مصادرة الأوقاف والتضييق على التعليم العربي حتى إذا حلت سنة 1901م، أي بعد سبعين سنة من الاحتلال أصبحت نسبة المتعلمين من الأهالي لا تتعدى 38%، فنتج عن ذلك انتشار الجهل والأمية، وزاد بسبب الثورات المتتالية التي خاضها الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي الغاشم.

لكن رغم الحصار الذي فرضته فرنسا على الجزائر لعزلها عن بقية الأقطار الإسلامية وعن امتدادها الحضاري، فإنه مع إطلالة القرن العشرين بدأت الجزائر تعرف حركة فكرية إصلاحية ساهمت في نهضة المجتمع الجزائري حيث كان للنشاط الصحفي دورا بارزا في إنكاء الوعي السياسي والاجتماعي. تلك هي الحقبة التي نشأ وترعرع فيها عمر راسم (1884-1959م)، وقدم خلالها عصارة مواهبه لخدمة القضية الوطنية.

فالدراسة عبارة عن قراءة في التراث الصحفي لهذه الشخصية، والتي أعطت للجزائر إمكانات فكرية وعبقورية فني، ساهمت بشكل أو آخر في إحياء الوجدان الوطني في أبعاده السياسية والاجتماعية والحضارية عموما. فقد كان عمر راسم رائدا من رواد الحركة الوطنية الجزائرية، وفاعلا في النشاط السياسي والاجتماعي وحتى الثقافي، في حقبة زمنية هامة من تاريخ الجزائر، والتي أطلق عليها عصر النهضة التي بدأت منذ مطلع القرن العشرين.

2. البيئة المؤثرة في عمر راسم:

نشأ عمر راسم في عصر تغيرت فيه حالة الجزائر من نظام استعماري عسكري جامد إلى نظام مدني يهدف إلى إحداث تحولات إستراتيجية جديدة على حساب المجتمع الجزائري بهدف تدجينه وإنهاء كينونته الحضارية مما أثر كثيرا في بلورة فكره ونشاطه.

فكان عهد "لويس تيرمان" (1881-1891م) الذي أقام القوانين الاستثنائية لقهر الجزائريين، وفي عهده أنشئت الحالة المدنية (23 مارس 1882م) التي أراد الاستعمار من خلاله تفتيت الأنساب وتقسيم العائلات الجزائرية. (أبو القاسم سعد الله، 2009، ص 256)

عاش عمر راسم طفولته وشبابه في ظل حكم فريق آخر من الفرنسيين أمثال "جول كامبون" "J.Cambon" (1891-1897) و"شارل جونار" "C.Lautout" (1913-1918). ورغم تميز حكم كل واحد بطابع خاص، ولاسيما "شارل جونار" الذي طالب بإعادة النظر في النظام القائم في الجزائر، بإعطاء بعض الحقوق للأهالي -المواطنين الجزائريين- والتخفيف من الضرائب والمحافظة على التقاليد الوطنية، ونشر التعليم باللغة العربية، واحترام الشريعة الإسلامية، و تعيين بعض العلماء والفقهاء والقضاة والأئمة في مناصب عليا، وإنشاء المؤسسات الدينية، وإنشاء المباني الضخمة وفق الطراز العربي الإسلامي مثل "البريد المركزي". كما أنشاء "جامعة الجزائر المركزية" بموجب قانون 30 ديسمبر 1909م.

ورغم أنه تراجع عن سياسة الانفتاح وأنشأ نظاما خاصا بالجزائريين يعرف بالمحاکم الردعية، بعد انتفاضة عين الترك "Margurite" وعريوة وسكان مليانة سنة 1901. غير أن الجزائر عرفت في ظل سياسته أجواء جديدة سمحت للنهضة الجزائرية أن تبرز بمظاهر عدة.

ومن الأحداث السياسية التي أثرت في شخصية "عمر راسم" ووعيّه السياسي على الأقل، تلك الثورة التي قامت بها جماعة "ماكس ريجيس" وهم من الغلاة الفرنسيين في مدينة الجزائر، والحملة الواسعة التي قاموا بها ضد اليهود والصهيونية. (إبراهيم مياشي، 2009، 2012)

إضافة إلى ذلك عرفت هذه المرحلة صحوة المشرق العربي، ولاسيما حركة "جمال الدين الأفغاني" و"محمد عبده" التي رفعت شعار الإصلاح و مواجهة الاستعمار والتوعية بمخاطر الصهيونية التي أخذت تتكالب على العالم الإسلامي والعربي. إضافة إلى دخول بعض الصحف والمجلات الإصلاحية إلى الجزائر رغم رقابة إدارة الاستعمار الفرنسي، ومنها على سبيل المثال: صحيفة "العروة الوثقى" لسان حال دعوة جمال الدين الأفغاني ومجلة المنار لسان حال محمد رشيد رضا، وما أفرزته هذه الصحف من نشر الفكر المستنير والوعي الثاقب للمخاطر المحدقة بالجزائر، وانتعاش للحركة الفكرية في الجزائر التي أفرزت تيارين أساسيين:

- تيار المحافظين من العلماء وأهل الدين من الصوفية والمرابطين وأهل الإصلاح .
- تيار النخبة الجزائرية من الطبقة المثقفة التي تخرجت من المدارس الفرنسية والمتأثرة بالفكر الغربي. وكل من التيارين له نظرتة وبرنامجة السياسي والاجتماعي.

يضاف إلى ذلك دور تنشئة أسرة عمر راسم المحافظة في بلورة توجهاته الفكرية والسياسية، فقد حضي بتربية مسجديه، فحفظ القرآن وعمره لم يتجاوز سبع سنين. ورغم أن إرث عمر راسم لا يزال لم يدرس بشكل تحليلي جيد ولعل بعضه ضاع، إلا أن ما نشره من مقالات في الصحف التونسية والجزائرية وغيرها، قد بلور إلى حد كبير مواقفه وأفكاره السياسية وتطلعاته لمستقبل المجتمع الجزائري، وبيّن أنه كان واعيا للمرحلة التي تعيشها الجزائر والأمة الإسلامية.

3. الوعي السياسي في صحافة عمر راسم:

1.3 القضايا الوطنية في نشاطه الصحفي:

عندما ظهر عمر راسم على الساحة الوطنية لم يكن الجزائريون يعتنون بالعمل الصحفي إلا قليلا، في حين كانت الصحافة باللغة الفرنسية مزدهرة ومتنوعة، فيها من اليوميات والأسبوعيات والدوريات والمجلات في جميع أنحاء الجزائر، في حين أن نشاط الجزائريين لا يتعدى العمل في جريدة المبشر التي كانت تصدرها السلطات الاستعمارية. وقد كان عمر راسم واحد من هؤلاء الذين اشتغلوا في المبشر، مما اكسبه خبرة جعلته يثق في قدراته ليخوض ميدان الصحافة والنشر، وجعله يتنبه إلى ضرورة تكثيف النشاط الصحفي وإخراجه من سباته. (زهير إحدادن، 2009، ص241)

كان يرفض العمل السياسي فلم ينتم إلى أي حزب سياسي، فهو ليس اندماجيا ولا حزبيا ولا راضيا على القيادات الجديدة، إلا أنه بنشاطه الصحفي أسهم في التوعية الوطنية، بالتنبيه وإشعار الناس بظلم الاستعمار وكأنه يدعو إلى الثورة على الوضع لأن الظلم لا يولد الثورة ولكن الشعور بالظلم هو الذي يفجر الثورة وهذا هو دور المفكرين المنظرين لحركة التغيير في التاريخ. كان ذلك عن طريق نشاطه الصحفي الهادف إلى نهضة الأمة الجزائرية لنفض الغبار عن واقعها التعتيس.

رغم الصعوبات المالية التي واجهت عمر راسم، فقد كانت بداية نشاطه مبكرة سنة (1908م/136هـ) بإنشاء مجلة الجزائر التي أصدر منها عددين تجريبيين. (العدنان موجدان في أرشيف المكتبة الوطنية الفرنسية بباريس) في شكل ملحقين غير أنها لم تظهر إلى الوجود. (صاحب المرجع، السنة، الصفحة) ويبدو من خلال عنوانها أنه تحمل دلالات سياسية وحضارية قوية، أقل ما يقال عنها تكريس فكرة "الإيمان بالوطن" -الجزائر- وحتى باللغة الفرنسية كتبها Al Djazair وليس Algérie، وفي ذلك دعوة صريحة إلى تصحيح المفاهيم بالتخلص من المصطلح الاستعماري الذي وضعته وزارة الحربية الفرنسية سنة 1839م، والعودة إلى المصطلح الأصيل وفي ذلك أكثر من دلالة، لأن تصحيح المفاهيم له أثره الكبير في بناء الوعي السياسي والاجتماعي.

والقراءة الأولية لما جاء فيها كان دعوة صريحة لنهضة الجزائر خاصة المقال الرئيسي في عدده الثاني بعنوان : "نهضة الأمة وحياتها" للشيخ "الطنطاوي الجوهري" وهو أحد علماء الأزهر الشريف.

وكانت المجلة تعطي اهتماما كبيرا لما يجري في المشرق الإسلامي، بدليل أنها فتحت صفحاتها لأقلام الكتاب من أنحاء العالم الإسلامي، مما يبين أن الوعي السياسي لدى عمر راسم كان يتجاوز المستوى المحلي إلى المستوى الإقليمي والعالمي، من أجل نشر أفكاره السياسية المبنية على مقاومة النزعة الاستعمارية والمطالبة بحقوق المسلمين الجزائريين، حتى أنه كان يمضي رسائله بعبارة "البائس اليائس الثائر على العصر وأهله".

وتعد مجلة "الجزائر" أول مجلة عربية يصدرها جزائري، واعتبرها "أحمد توفيق المدني" أولى الجرائد الحرة، وقد كان "عمر راسم" يدعمها بالرسومات الساخرة التي كان يرسمها بنفسه، سعى من خلالها إلى توعية الجزائريين وتنقيفهم وتعليمهم وإطلاعهم على واقعهم وما يجري في العالم الخارجي. (توفيق مزارى عبد الصمد، 2009، ص 32)

فعلى الصعيد الوطني نجده يشخص وضع الجزائر السياسي، على أنها في أسوأ حال، واعتبر ما وقع ما وقع في الجزائر إنما هو "الفساد الأخلاقي والاجتماعي" وانتقد الخطباء السياسيين الذين تحدثوا عن سعادة الجزائريين معتبرا ذلك تزويرا للحقائق، لأنه اعتبر أن الجزائري تحت الاستعمار الفرنسي "هو آخر الأدميين درجة فقرا وجهلا".

ونفس الشيء أبداه عن وضع العالم الإسلامي، حيث أدرك بثاقب نظره أن ما يحدث فيه من تغيير لا يخدم مستقبله، وأن هذا القرن بالنسبة للعالم الإسلامي هو قرن الظلمات، فهذه النظرة السوداوية لأوضاع الجزائر و الأمة الإسلامية برمتها، كانت واعية بأن الاستعمار الغربي الحديث هو أكبر عائق أمام نهضة الجزائر و العالم الإسلامي.

والمستخلص من ذلك فإن صحيفة الجزائر، كانت رائدة في العمل على نشر الثقافة الإسلامية العربية في أوساط الجزائريين، وإيجاد نخبة وطنية متشبعة بذلك، وهو نفس الهدف الذي عملت من أجله الحركة الوطنية الجزائري بكل أطيافها.

2.3 مقالات عمر راسم في الجرائد التونسية وجريدة الحق الوهراني:

رغم العرقلة التي تعرضت لها جريدته الجزائر وتعثرها حتى ترى النور، إلا أنه واصل نشاطه الصحفي في الجرائد التونسية -جريدة مرشد الأمة التونسية، وجريدة التقدم التونسي وغيرها من الجراد التونسية، إضافة إلى جريدة الحق الوهراني(1911م).

ولا أدل على توجه الوطني أنه كان يتوجه بالنصح لكل من يصدر جريدة جديدة في تونس أن يلتزم بخدمة قضايا الوعي السياسي والاجتماعي، كما فعل وهو يهني "الشيخ الطيب بن عيسى" بصدور جريدته "المشير" سنة 1911م، بالقول له: "أرجوكم نعم الأخ أن تجعل مشرب الجريدة انتقادياً وخادمة للدولة العلية ، وأن تنتقد عليها في كل ما تراه حسناً.. أيها الأخ اعلم أنك جزائري الجد فلا تغفل عن وطنك ودافع عنه بقدر الطاقة ولا تخش في الله لومة، وكن مع نصر الله يكن معك، وعلى الوطن يعينك الله، وحب الوطن من الإيمان" (المشير، ع، 26، تونس: 191. 06)، وقد كان عمر راسم مراسلا بارزا لها من الجزائر رفقة عمر بن قدور. (خير الدين شثرة ، 2012، ص 115)

وظهر من خلالها عمر راسم الساخط السياسي داعيا إلى الثورة والتغيير، فنجده يساهم بمقالين في جريدة التقدم التونسية (1908-1907م) الأول بعنوان "رأي حر" (أمنية قلاعي، 2014/2015، ص 37) وهي عبارة عن رسالة وجهها إلى سلطات الفرنسية، ركز فيها على انتقاد السياسة الفرنسية والفئة الاندماجية لأنهم ولوا وجوههم شطر علينا واتبعوا سياسة المتغلبين على الوطن، واعتبر الفئة الاندماجية خطر على المسلمين الجزائريين، لأنها تريد أخذ الحقوق السياسية عن التفرنج الاندماج فيذكرهم بقوله: "أولئك الذين تخلقوا بمفاسد التمدن الحديث وشروط الحضارة الجديدة، وكان له أثر كبير في الأوساط الجزائرية و العربية.

ونشر مقالات أخرى في جريدة "مرشد الأمة" وجريدة "المشير"، فكان صوتا جريئاً حارب الاستعمار وبيّن أساليبه القذرة التي كان يستخدمها الاستعمار لفرنسة الجزائر ومحو هوية الأمة. (رغداء زيدان، 2009، ص33) فتبنى بذلك أفكار محمد عبده التي كان متأثراً بها.

أما جريدة الحق الوهراني التي صدرت بوهران بتاريخ 15 أكتوبر 1911م، التي تندرج في التيار السياسي الذي يدعو إلى المشاركة ، واتخذت "خطاب نابليون الثالث" للمسلمين في الجزائر شعارا لها الذي جاء فيه: "أريد أن أجعلكم تشاركون أكثر في إدارة بلدكم".

وكانت معارضته الشرسة لتيار الإدماج وقانون التجنيد الإجباري عاملا هاما جعله يستجيب لطلب الجريدة للإشراف على قسمها العربي الذي لم يكن يتجاوز الصفحتين، لأنه كان متفق مع هذا المسار.

وكانت أغلب مقالاته فيها حول الهجرة و الهجوم على الاندماجين، وصب جم غضبه على قانون التجنيد الإجباري الذي صدر في هذه الفترة، ولعل ذهابه إلى مصر سنة 1912م، كان تعبير عن ذلك، وفي نفس الوقت استجابة للأفكار الإصلاحية التي أطلقها محمد عبده، وللإطلاع على أحوال المسلمين هناك ومعاينة مدى نجاح الحركة الإصلاحية.

ومن خلال نشاطه في الصحافة ومتابعة مجريات الأحداث وطنيا ودوليا، فقد كان عمر راسم متيقظا لوضع اليهود في الجزائر، بعد أن منحهم "قانون كريميو" الجنسية الفرنسية عام 1870م، وأدرك مع زميله "عمر بن قدور" خفايا المخططات الصهيونية وأطماعها في القدس وفلسطين، ومخاطرها على العالم العربي فنبه إلى ذلك مبكرا، ولم يكتف أضعف الإيمان، ونشر فصولا في جريدة المرشد ومرشد الأمة التونسية دعا من خلالها إلى مقاومة هذا الداء مبيّنا خطره على الجزائر والأمة الإسلامية. وهاجم الصهيونية والاستعمار على أساس أنهما من مشكاة واحدة، وانظم إلى الجمعيات المناهضة للصهيونية، وفي مقالاته المتأخرة، أرجع أسباب سقوط الخلافة الإسلامية إلى تسرب العناصر الصهيونية إلى أجهزة الحكم العثماني. ولم يقتصر عمر راسم على ذلك بل أنه كتب في جريدة السعادة التي تصدر بالمغرب الأقصى سنة 1944، وجريدة "هنا الجزائر" 1954 - 1957. بعد أن خفت حدته وحماسه.

3.3 جريدة ذو الفقار صوت سياسي جريء :

وفي سنة 1913، أصدر عمر راسم باسم بالعاصمة مستعار (أبو منصور الصنهاجي) جريدة "ذو الفقار" (وهو سيف الإمام علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه) ، وهي أول جريدة عربية يقوم بأعباء تحريرها وكتابتها ورسم صورها وإخراجها وبيعها وطبعها رجل واحد(عمر راسم)، وكانت تتبنى فلسفة محمد عبده الإصلاحية.(قطاف نشوى وآخرون، 2022/2021، ص14) وعنوانها دلالة على خطه المعارض لسياسية الإدارية الفرنسية الاستعمارية ومحاربة كل أعداء الجزائر فقد جاء في مقدمتها التي حدد فيها أهدافها: " لما سمعنا الإسلام ينن من طعنات أعدائه، والوطن ينادي بالويل والحسرة على أبنائه، أنشأنا هذه الجريدة لمحاربة أعداء الدين وكشف أسرار المنافقين، وإظهار مكائد اليهود والمشركين للناس أجمعين، وانتقاد أعمال المفسدين."

وكان أسلوبه في النقد والهجوم عنيفا جدا، جعل بعض المقربين منه ينتقدونها مثل زميله "عمر بن قدور" بقوله: " نخالف ذو الفقار في المشرب الذي توخاه، فإننا نعتقد تما الاعتقاد أن للهيئة عوارض عويصة تنجح في تسويتها الصحف الإنتقادية الحارة اللهجة أكثر من غيرها". (إبراهيم مياشي، 2009، ص 213)

ولهذا لما عرف الاستعمار الفرنسي هذا الوعي السياسي والنضج الوطني المتوثب، فكتّم أنفاس جريدته بعد صدور العدد الرابع (28 جوان 1914) متعللا باندلاع الحرب العالمية الأولى، ودسّ لهذا الوطن من العيون والبوليس السري من استدراجه لمعرفة أفكاره اتجاه الاستعمار .

وكان عمر راسم بمقالاته في جريدة "الحاضرة" التي أسسها "علي بن شوشة" التي كانت لسان حال كتلة قوية من المثقفين والمدرسين من الزيتونة الصادقية وعملت على ربط تونس بالجامعة الإسلامية، (علال الفاسي، 1948، ص ص 41 - 45)

وكتب في مجلة "العالم الإسلامي" التي أصدرها "الشيخ عبد جاويز" خلال الحرب العالمية الأولى، وكانت مقالاته كلها دفاع عن المسلمين والخلافة الإسلامية، وانتقادا للسياسة الفرنسية وحركة التبشير والآباء البيض في الجزائر. (أبو القاسم سعد الله، 2005، ج5 ص 591)

ونشاطه الوطني دفع السلطات الفرنسية إلى سجنه والتكيل به بتهمة ملفقة، وهي تهمة الاتصال مع العدو، فقد ضبط البريد الانجليزي رسالة موجهة من الجزائر إلى مصر جاء فيها: "بجب على المسلمين أن يفتدوا خليفهم وألا يعينوا أعداءه، فوجهت إليه التهمة بحجة أن الخط الذي كتبت به الرسالة هو خطه، وأصدرت بحقه حكما بالأشغال الشاقة، كان ذلك في 13 أغسطس 1915م، وحكم عليه بالنفي المؤبد في 6 نوفمبر من نفس السنة، وأُخِر التنفيذ إلى سنة 1921، ثم ثبتت براءته، فعفي عنه وأطلق سراحه.

وكان نتيجة ذلك كما ذكر بعض الباحثين أنه استاء من الجميع، وأصابته سوداوية، فغدا كافرا بالدينيا، متشائما لا يرى الأشياء إلا من وراء منظار أسود. لأنه عمل بكل قوته على توعية الجماهير وحثها على رص الصفوف والتمسك بالوحدة الوطنية والتنبيه إلى ألعيب الاستعمار وعد الانخداع بأساليبه القذرة، ولكنه لم يجد إلا زيادة في الخمول وطغيانا للمستعمر مما أشعره بالإحباط واليأس. ولهذا غير من أسلوبه من أجل تحقيق نفس الأهداف في التوعية الحضارية مستغلا مواهبه الفنية، فاهتم بالعمل الفني، محاولا بعث التراث العربي الإسلامي أمام موجات التغريب الفرنسي، وحاول إيجاد تيار جزائري في فن الزخرفة والمنمنمات، فأسس مدرسة للفن أسماها "مدرسة الفنون الزخرفة والمنمنمات الإسلامية" للدفاع عن الهوية الجزائرية والتصدي للأهداف الاستعمارية الكامنة في حركة الاستشراق الفرنسي (عدنان عظيمة، 2003، ص 1 و 2)، وذلك بالمحافظة على تراث الأمة كأسلوب من التوعية غير المباشرة وبعيدة المدى، وهو أسلوب للمقاومة الحضارية..

4. الوعي الاجتماعي في مقالات عمر راسم:

1.4 الدعوة إلى الإصلاح :

لا يخفى على باحث في تاريخ الجزائر ما وصل إليه المجتمع الجزائري تحت الحكم الاستعماري، من تدهور وجمود فكري وبؤس وجهل، وسيطرة أفكار الزوايا المنحرفة، وهذا ما أثر على تماسكهم الاجتماعي وروابطهم الحضارية، حتى صاروا كما يذكر "إسماعيل حامت": "كان للإلحاد الغربي مبلغ كبير من التأثير في جمهور ليس بالقليل من مسلمي الجزائر، وإن كانوا برحوا مسلمين في الظاهر فهم يجهلون حد ما وصلت إليه روحهم من التلاشي". (عمار طالبي، 1968، ص 47)

وقد أدرك عمر راسم أن نشر الوعي السياسي للنهوض بالمجتمع الجزائري لا يمكن حدوثه إلا إذا كان مقرونا بإصلاح اجتماعي، يفضي إلى وعي بالذات والمرحلة

التي يعيشها، حتى يتسنى له اتخاذ الموقف الذي يخلصه من جلد الذات و بناء حركية اجتماعية وسياسية ناضجة.

عمل عمر راسم على نشر الوعي الاجتماعي في وقت مبكر بما كان ينشره من مقالات، في وقت كان الإصلاح عن طريق الصحافة من الصعوبة بمكان، وحاول إصدار أول جريدة له باسم الإصلاح لكي يستعين بها على نشر أفكاره الإصلاحية. وكان من الذين تأثروا بمدرسة التجديد الإسلامي وحركة الجامعة الإسلامية، فقد كان في مقتبل العمر عندما زار الشيخ "محمد عبده" الجزائر سنة 1903م، فتحمس لمبادئه حتى أثار سخط بعض المشايخ التقليديين الجامدين بمدرسة الجزائر الشرعية الفرنسية- الثعالبية - التي كان طالبا بها فطرده منها. (محمد ناصر، 1976، ص 16) وبذلك فقد انخرط في حركة النهضة التي عرفتها الجزائر في مطلع القرن العشرين، بهدف انجاز أول خطوة في الوعي الاجتماعي، بإعادة بناء الشخصية الجزائرية بأبعادها العربية الإسلامية، مستعملا الصحافة والأعمال الفنية وغيرها من النشاطات الثقافية وسائل لذلك.

بدأ عمر راسم بتشخيص الوضع الاجتماعي للجزائر، على أنه أسوأ حال واعتبر ما حدث في الجزائر إنما هو الفساد الأخلاقي والاجتماعي الذي هو في صالح بقاء سيطرة الاستعمار، (أبو القاسم سعد الله، 2005، ج 5 ص 288) وبالتالي فهو من الرعيل الأول في الكفاح والإصلاح الاجتماعي. (عادل نويهض، 1983، ص 243) فسلط قلمه لانتقاد الفئة الاندماجية والمتغربة المتأثرين بنمط الحضارة الغربية، وناضل من أجل إعادة المجتمع الجزائري إلى أصوله العربية والإسلامية، (أبو القاسم سعد الله، 1983، ص 155) واتضح ذلك جليا في صحيفة الجزائر التي أنشأها عام 1908م، وكرسها لخدمة هوية الجزائر الحضارية حتى وصفتها مجلة العالم الإسلامي بأنها جريدة دينية بالدرجة الأولى، لأنها كانت تهدف إلى إيجاد نخبة جزائرية متشبعة بالثقافة العربية الإسلامية، (أبو القاسم سعد الله، 2005، ج 5 ص 285) وهو نفس الهدف الذي تبنته جمعية العلماء المسلمين فيما بعد.

وقد بنا عمر راسم الوعي الاجتماعي على مفهوم حركي ايجابي عصري، فلم يدعو إلى الانزواء والعبادة وإهمال العمل الدنيوي والاجتماعي، ولهذا حارب عن طريق صحافته وبمقالاته الدروشة وكل مظاهر التواكل والخمول التي كانت معششة في العقول ولدى بعض رجال الزوايا المنحرفة والمدجّنة من قبل الإدارة الاستعمارية، ويدعو إلى الاجتهاد والحركة الدائمة وحب العمل بقوله: "الأحذية أولا ثم الصلوات بعد ذلك". فهو بذلك يحاول تصحيح المفاهيم السلبية بمفاهيم ايجابية بناءة للمجتمع، فنجد في افتتاحية العدد الثالث من جريدته "ذو الفقار " التي عنوانها "الإسلام والمسلمين" (عمر راسم، عدد 20 رجب 1332هـ/ 14 جوان 1914، ص 1) تساءل بحرق، كيف يكون المسلم مسلما في بلاد مساجدها خالية من المصلين، بينما شوارعها مملوءة باللصوص والسفلة؟ بلاد انتشر فيها الربا والسلب والنهب والجفاء بين أهلها

وانعدم فيها الإحسان وكثر فيه تقليد الكافرين (الفرنسيين). (أبو القاسم سعد الله، 2005، ج5 ص289)

ولترقية وعي المجتمع الجزائري، فقد دعا إلى نبذ الكسل والخمول والتوكل على الغير وإلى التخلق بالفضيلة، وقال إذا لم نعرف الأسباب التي أدت بالأمة العربية إلى القوة والسؤدد وهي مكارم الأخلاق ومحاسن الصفات، اندثرت، ثم طلب من الله أن يجري في عروقنا دم السلف. ولهذا نجده يندد بنزعات التفسخ والانحلال الأخلاقي لدى الشباب المتفرنس، وانتقد كل الفئات المنحرفة مبينا ولاءه للاستعمار بقوله: "ما من بلاء نزل من السماء إلا أولئك الذين شقوا عصى الأمة المحمدية، وما من شقاء طلع من أرض الرمضاء، إلا من المتبرئين من الشريعة الحنيفة، وما من ألم حلّ ببلادنا إلا من أولئك الحشرات الذين ملأت بهم الأرض فانسابوا بين أهل الإيمان كأفاعي سجستان، عادوا بلادهم وخرّبوا ديارهم، وخانوا ملتهم باسم المدنية والإصلاح. (عمر راسم، 1912، ص 44) "أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ" (البقرة آية 12)

يرى راسم أن أهم وسيلة لاستعادة الوعي بالذات الاجتماعية والحضارية، التربية العليم للأجيال الصاعدة، من أجل توعية الضمير الوطني وتفتح أعين الجزائري على واقعه المرير، ولا بد أن يكون التعليم حسبه باللغة العربية حتى لا تقيد الإدارة الاستعمارية مثل الكتابات التي أنشأها شارل جونا، بهدف توجيه الثقافة في الجزائر بما يخدم المخططات الاستعمارية، وقد حاول في نفس الوقت تحذير الشيوخ القائمين عليها إلى حقيقة واقعهم بأنهم حمر وحشية. (محمد ناصر، 1984، ص21)

ورغم أنه كان مزدوج اللغة، فقد دافع راسم بشدة عن اللغة العربية مذكرا أنها لغة العلم والحضارة وقادرة على مسايرة العصور المختلفة، وأنها هي التي تمدّن العالم وسعدت الأمم وارتقت بها إبان العصور الإسلامية المزدهرة، مفندا الشبهات والدعاية المغرضة التي روجها الاستعمار عنها، منتقدا بشدة بعض الجزائريين الذي تنكروا لها، ومن أثاره في خدمة اللغة العربية، كتابه "تفسير القرآن الكريم" الذي شرح فيه نظريته الإصلاحية في علاج الوضع الجزائري، وله مخطوطة بعنوان "تراجم علماء الجزائر" وهو عبارة عن تراجم مختصرة لبعض الشخصيات الجزائرية مثل حمدان خوجة، عبد القادر المجاوي، عبد الحليم بن سماية، وهم من شيوخه الذي ساهموا في تأسيس العمل الوطني والإصلاحي، (عادل نويهض، 1983، ص 243) وفي ذلك دعوة للاقتداء بهم، معلنا اعتزازه بالشخصية العربية بقوله: "سحقا علينا، ألا نتكل على غيرنا، وألا نهمل أجدادنا، وتعاليم ديننا، وإلا فلنمت موة الجاهلية، ولا نرى في بلادنا ولا بين أولادنا، نحن عرب نحن مسلمون نموت عربا نموت مسلمين" (عمر راسم، 2012، ص، 2).

كما أراد راسم من العلم أن يكون أداة اعتزاز وإباء توظف أحاسيس الوطنية للتخلص من الظلم والظالمين فقال: "أجل يجب أن نتعلم لكي نشعر بأننا ضعفاء، يجب

أن نتعلم لكي تأبى نفوسنا الضيم، ولكي نطلب العدل والمساواة بين الناس في الحقوق الطبيعية، وفي النهاية لكي نموت أعزاء شرفاء، لا نعيش أذلاء جبنا، نتعلم كيف نرفع أصواتنا في وجه الظلم، يجب أن نتعلم لكي ندافع عن الحق، ليمت التمييز، لقبر التفضيل والتخصيص فكلنا بشر، لنا الأرض ملكا مشاعا ولنا الماء والهواء والسماء، ليصعق أولئك المخالفون، فكفاهم تعذيبا للإنسانية، كفاهم تمزيقا لجسمها، كفاهم ما أنزلوه عليها من مجالدهم الجهنمية. (عمر راسم، 2012، ص 02)

2.4 الوعي الاشتراكي في صحافة عمر راسم:

كان عمر راسم من المعجبين بالفكر الاشتراكي، كنهج يهدف إلى تحقيق العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص من أجل نهضة المجتمع، انطلاقا من إيمانه بسماحة الإسلام وعدالته، واشتراكية الإسلام كما كتب عنها مصطفى السباعي، وعلاجا للوضع الطبقي الذي كان يعيشه الجزائريون، ولهذا نجده يشجب بشدة نزعات الانتفاع والأنانية لدى الطبقات البرجوازية، وينصب نفسه مدافعا عن الطبقات الدنيا من الفقراء، وحاميا عن قضاياهم، فجاء في افتتاحية العدد الأول من جريدة "ذو الفقار" نقدا لاذعا للأغنياء الذين يجعلون من الناس أدوات تخدم مصالحهم وليس غاية لخدمة المجتمع، جاء فيها: "ذو الفقار يبارز الأغنياء المقصرين الذين يريدون أن يجعلوا مخلوقات الله ونظامات الكون آلات يستجلبون بها منافع لهم". (عمر راسم، 2013، ص 1)

فقد كانت الاشتراكية عنده لا تخرج عن مفهوم العدالة الاجتماعية، وقد بين ذلك في مقال له بعنوان "صيحة اجتماعية"، بأنها العدالة الاجتماعية لإنصاف المحرومين وتخليصهم من نير الظالمين، وهي نظرة لا يفهمها إلا من اطلع على أحوال الجزائريين المزرية تحت نير الاستعمار، وبالتالي هي نظرة لتنمية الوعي الاجتماعي والإصلاح الاقتصادي، ولا علاقة لها بالجانب الإيديولوجي للفكر الاشتراكي الشيوعي، فكان يطلق عليها مذهب الاشتراك الذي انبعث من ألمانيا، والذي أنصف الفقراء والمحتاجين والعمال، والمساواة بين الناس، ومعنى ذلك لم يكن يرى لهذا المفهوم الاشتراكي من العدالة الاجتماعية أي تناقض مع دعوة الإسلام إلى العدالة الاجتماعية، إنما يرى في ذلك حلا لتقليص الفوارق الطبقة وحدا لجشع الأغنياء الجزائريين، حتى يتحولوا إلى التكافل الاجتماعي والتضامن الوطني لنهضة المجتمع الجزائري. (توفيق مزارى عبد الصمد، 2009، ص ص 104-105) ويفعل ذلك في إطار منهجه الإصلاحية، الساخط على الاستعمار بكل ألوانه، من أجل بعث الروح القومية لتحقيق الوحدة النضالية الوطنية للتخلص من الاستعمار البغيض، والأغنياء هم أكثر الشرائح الاجتماعية مقدرة على إحياء وتمويل مشاريع مقاومة الاستعمار ثقافيا واجتماعيا.

وفي هذا السياق كتب مقالا بعنوان "التعاون ! التعاون !" (عمر راسم، 2013، ص .) بين قوله: "آه لو كان للمسلمين حزب اشتراكي ! لكن من يعمل به؟ وهل من الأغنياء من ينقاد إلى تعاليمه ومبادئه؟ أيها الأغنياء إن لم تعملوا الصالحات وتوهبوا ،

وترحموا وتعطفوا وتسعوا في نهضة أمتكم المسكين، فما عليكم إلا الخروج من الإسلام، والدخول في غيره من الأديان لأنكم عار عليه، وإن مبادئه والإنسانية يتبرآن منكم.."

5. الخاتمة:

الخلاصة من خلال هذه الدراسة، أن "عمر راسم" بأفكاره ونشاطه الصحفي تفاعل بشكل إيجابي مع واقع وطنه، فقد كان هدفه توعية الشعب الجزائري بحقيقة انتمائه الحضاري، أملا في أن يحدث فيه وعيا ويقظة، بعدما طال نومه وغفلته بسبب سياسات الاستعمار التي استهدفت فيه كل مقوماته الأساسية السياسية والاجتماعية والثقافية. فبعدما فقد الثقة في المراوغات الإدارية الاستعمارية ووعودها الكاذبة، وفقد الأمل في الزعامات الوطنية والقيادات الإسلامية التي قصرت في حق شعوبها، كان يشعر أن الشباب المسلم والأمة بحاجة إلى من يأخذ بيدها إلى سواء السبيل.

ساهم "عمر راسم" في الحركة الإصلاحية أو ما سمي "نهضة الجزائر الفتاة" في مطلع القرن العشرين، عن طريق العمل الصحفي سواء بكتابة مقالات هامة في الصحافة العربية والإسلامية، أو بإصدار جرائد وصحف وطنية منها (الجزائر، ذو الفقار...) ضمنها خطه التوعوي وفكره الوطني، في وقت كانت الجزائر تعيش كبنا للحريات وتضييقا على الكلمة الواعية الخادمة للتيار الوطني.

ركّز راسم على تكريس الوعي السياسي بتنمية حس الانتماء الحضاري والوطني دون أن ينتمي إلى أي حزب من الأحزاب الوطنية المعاصر لها، وحاول تنمية الوعي الاجتماعي عن طريق الإصلاح، والتنبيه من سوء الأخلاق والردائل والآفات الاجتماعية التي استثمر فيها الاستعمار بهدف تخدير المجتمع الجزائري.

ومجمل القول فقد أحدث راسم عن طريق نشاطه الصحفي دفعا للتيار الوطني ولاسيما الإصلاحي المحافظ المتطلع إلى الحرية لا الاندماج واسترجاع السيادة الوطنية بكل مقوماتها.

5. قائمة المراجع:

المؤلفات:

- سعد الله أبو القاسم (1983) الحركة الوطنية الجزائرية الجزء الثاني، 1900-1930، شون إ، ط، الجزائر.
- سعد الله أبو القاسم (2005) تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء 5، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان.
- طالبى عمار (1968) ابن باديس حياته وآثاره- الجزء الأول- ط1 دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة، بيروت لبنان.

- الفاسي علّال (1948) الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، الناشر عبد السلام جسوس، طنجة، المغرب .
 - ناصر محمد(1984) عمر راسم المصلح الثائر، منشورات وزارة الثقافة والسياحة ، مديرية الدراسات التاريخية وإحياء التراث، الجزائر.
 - نويهض عادل (1403هـ/ 1983م.) معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت لبنان.
- الأطروحات:**

- قلاعي أمينة (1435-1436هـ/2014-2015م) عمر راسم وقضايا عصره من خلال كتاباته الصحفية، مذكرة ماستر قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة يحيى فارس بالمدينة الجزائر.
 - قطاف نشوي، وآخرون(1442-1443هـ/2021-2022م) الصحافة الوطنية المكتوبة ودورها في الحياة الثقافية والفكرية خلال الفترة الاستعمارية بالجزائر(1830-1962)، مذكرة ماستر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن خلدون تيارت، الجزائر.
- المداخلات:**

- إحدادن زهير (15/14 فيفري 2009م) عمر راسم في ميدان الصحافة، مؤتمر عمر راسم الفنان والخطاط المزخرف والمصلح الثائر، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط إلى نهاية العهد العثماني جامعة الجزائر 2، الجزائر.
 - سعد الله أبو القاسم (15/14 فيفري 2009م) عمر راسم بين نحب عصره، ملتقى عمر راسم الفنان والخطاط المزخرف والمصلح الثائر، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط إلى نهاية العهد العثماني، جامعة الجزائر 2، الجزائر.
 - مزارى عبد الصمد توفيق (15/14 فيفري 2009م) أهمية الإصلاح وعوامله في الجزائر، مؤتمر عمر راسم الفنان والخطاط المزخرف والمصلح الثائر، منشورات مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط إلى نهاية العهد العثماني، جامعة الجزائر 2، الجزائر.
 - مياصي إبراهيم(15/14 فيفري 2009م) عمر راسم والصحافة، مؤتمر عمر راسم الفنان والخطاط المزخرف والمصلح الثائر، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط إلى نهاية العهد العثماني، جامعة الجزائر 2، الجزائر.
 - رغداء زيدان(15/14 فيفري 2009م) ، الثائر على عصره وأهله عمر راسم ، مؤتمر، عمر راسم الفنان والخطاط المزخرف والمصلح الثائر، منشورات مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط إلى نهاية العهد العثماني، جامعة الجزائر 2، الجزائر.
- المقالات:** الاسم الأخير، ثم الاسم الأول للمؤلف(ة)، (سنة النشر)، عنوان المقال، اسم المجلة ومكانها، المجلد، العدد، الصفحات؛
- شترة خير الدين(2012) النضال الصحفي للنخبة الجزائرية بتونس 1900-1956م، مجلة المواقف، جامعة معسكر، الجزائر، ديسمبر، المجلد ، العدد، ص 115.
 - عمر راسم (1913/10/15)- افتتاحية العدد، جريدة ذو الفقار، العدد الأول ، الجزائر.

- عمر راسم (1913/10/26). مقال بعنوان التعاون ! التعاون ،جريدة ذو الفقار العدد الثاني ، الجزائر.
- عمر راسم (رجب 1332هـ/14 جوان 1914) الإسلام والمسلمين، عدد 20. الجزائر .
- عمر راسم (1912/08/25). (مقال الإنسانية تتعذب، جريدة الحق الوهراني، عدد 26، الجزائر.
- عمر راسم (1912/11/30) مقال نصيحة الأخ ودعوة الإصلاح، جريدة الحق الوهراني عدد الجزائر.
- عمر راسم (1912/07/20) جريدة الحق الوهراني، عدد41 ، الجزائر.
- ناصر محمد : (ذو القعدة- ذو الحجة 1395هـ/ ديسمبر – جانفي 1976م)، عمر راسم المصلح الثائر، مجلة الثقافة، الجزائر العدد 30 ص16.
- واقع الانترنت:-**
- عدنان عزيمة (1 تشرين الأول 2003) الفن الجزائري الحديث محاولة للإبداع التشكيلي، الموقع http://unnivers-art.arabfdunart.com_art.htm.